وبقوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) فاخبر أنهم معبدون اى مذللون مصرفون مدبرون متهيئون ليسوا كالمعلول المتولد لأنه لا يتصور ان يتغير عن ذلك ولا (واخبر أنهم عباد الله لا يتشبهون به كما يتشبه المعلول بالعلة والولد بالوالد كما يزعمه هؤلاء الصابئون وقال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فاخبر انه يقضي كل شئ بقوله «كن» لا بالتولد المعلول عنه ولذلك قال سبحانه (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) فاخبر ان التولد لا يكون الا عن أصلين كما تكون النتيجة عن مقدمتين وكذلك سائر المعلولات المعلومة لا يحدث المعلول الا باقتران ما تتم به العلة تاما الشئ الواحد وحده فلا يكون علة ولا والد فاطر لا يكون شيء في هذا العالم الا عن أصلين ولو أنهما الفاعل والقابل كالنار والحطب والشمس والأرض فاما الواحد وحده فلا يصدر عنه شئ ولا يتولد . فبين القرآن أنهم أخطأوا طريق النظائر في العلة والتولد حيث جعلوا العالم يصدر عنه بالتعليل والتولد وكذلك قال (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) فخلاف قولهم ان الصادر عنه واحد

١ اى نسبوا اليه كذبا وبهتانا

٢ كلام نزه الرسول عنه الآية قوله مشفقون سبب الآية في جميعها

وهذا وفاء بما ذكره الله تعالى من قوله (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) اذ قد تكفل بذلك في حق كل من خرج عن اتباع الرسول فقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [فذكر] الواحدانية والرسالة الى قوله (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) فكل من خرج عن اتباع الرسول فهو ظالم بحسب ذلك والمبتدع ظالم بقدر ما خالفه من سنته (وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) .

وهؤلاء الصابئة قد أتوا بمثل وهو قولهم الواحد لا يصدر عنه ويتولد عنه الاواحد والرب واحد فلا يصدر عنه الا واحد يتولد فأتى الله بالحق وأحسن تفسيرا وبين أن ان الواحد لا يصدر عنه شئ ولا يتولد عنه شئ أصلا وأنه لم يتولد عنه شئ ولم يصدر عنه شئ ولكن خلق كل شئ خلقنا وأنه خلق من كل [شئ] زوجين اثنين ولهذا قال مجاهد — وذكره البخاري في صحيحه — في الشفع والوتر : ان الشفع هو الخلق فكل مخلوق له نظير ، والوتر هو الله الذي لا شبيه له فقال (ألن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) وذلك ان الآثار الصادرة عن العلل والمتولدات في الموجودات لا بد فيها من شيئين أحدهما يكون كالأب والآخر يكون كالأم القابلة وقد يسمون ذلك الفاعل والقابل كالشمس مع الأرض والنار مع الحطب ، فاما صدور شئ واحد عن شئ واحد فهذا لا وجود له في الوجود اصلا واما تشبيههم لذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت كالطنين مع المحركة والنشر فهو ايضا حجة الله ورسوله والمؤمنين عليهم وذلك ان الشعاع ان اريد به نفس ما يقوم بالشمس فذلك صفة من صفاتها وصفات الخالق

Copyright © King Saud University